2- حدث في العاشرة والنصف

شيماء شرف رُميح

كانت تقف أمام المرآة تلك الثلاثينية، لترتب خصلات شعرها المتمردة تتأمل عينيها تائهة في محيطها الأزرق حين قطع شرودها دقات على باب الغرفة تلاها دخول والدتها التي لا يستطيع الناظر التفريق بينها وبين ابنتها رغم فارق السن بينهما.. اقتربت الأم وعلى شفتيها الابتسامة الحانية قبل أن تبدأ بالحديث:-

- أنتي ماشية دلوقتي يا مايا؟!

التفتت لها تلك العشرينية وهي تضع خاتم الزفاف بإصبعها قبل أن تقول:

- أيوة يا ماما أنا أتأخرت عليهم وبقالي كام يوم عندك

خرجت مايا من الغرفة مسرعة وهي تتجه إلى باب المنزل ثم إلى سيارتها لتنظر لوالدتها وتودعها وقبل أن تنطلق أوقفتها والدتها قائلة:

- استني طيب لبكرة أنا خايفة عليكي تسوقي العربية دلوقتي الساعة 10ونص يا بنتي والدنيا ليل خالص خليها بكرة أحسن

ابتسمت مايا لوالدتها وهي تمسك يدها من داخل سيارتها لتطبع قبلة على يدها قبل أن تقول:

. متقلقيش يا حبيبتي أنا حافظة الطريق وبعدين دي مش أول مرة يعني.

لوحت بيدها لوالدتها وبادلتها والدتها أيضا التحية وانطلقت مايا بالسيارة إلى منزلها، كان الطريق المؤدي إلى منزلها مخيفًا وموحشًا ولكنها معتادة عليه فهي تقطن هناك منذ أكثر من 9 سنوات بقليل.

كانت تقود وهي شاردة الذهن قليلا.. لفت انتباهها وقطع ذلك الشرود فتاة صغيرة لا يتعدي عمرها الثماني سنوات ترتدي تلك البدلة المدرسية وتحمل حقيبتها.. فزعت مايا وضغطت مكابح الفرامل بقوة، فالتفت السيارة بسرعة لتنحرف عن الطريق قليلا أوقفت السيارة فجأة، لتنظر إلى الطريق اتجاه تلك الفتاة لتجدها تقف ساكنة لا تتحرك وكأنها تمثال قد حفر كتذكار لمناسبة ما.. كانت تلك الصغيرة تنظر لمايا نظرات لا تحمل أي معنى، فقط الصمت اللامبالاة نظرات عينين يسكنها اللاشيء.

هبطت مايا من السيارة واقتربت منها بخطوات حذرة ثم توقفت أمامها مباشرة لتنزل بجسدها إلى مستوى طول تلك الصغيرة.. وضعت يدها على أحد كتفيها قائلة:

- واقفة هنا ليه يا جميلة.. أنتي تايهة ولا أية؟؟

تحولت نظرات الفتاة من الجمود إلى الخوف والرجاء، تجولت مايا بعينيها متفحصة ملابس تلك الفتاة المهترئة، شعرها الأشعث وحقيبتها المتسخة وذلك الوجه الذي يوحي لك بأنه لم يضع عليه الماء منذ الأزل، لكن أكثر ما لفت انتباهها هو ذلك الحرق في ذراعها الأيسر، ولكن رغم ذلك المنظر وتلك الهيئة الغريبة للفتاة رأفت مايا بحالها، فسألتها مرة أخرى بصيغة مختلفة:

- فين بيتك يا حبيبتي وليه واقفة كدة؟؟

أخيرا رفعت رأسها قليلا لتنظر بأعين تشع براءة وتحدثت بصوت هادئ يعلن عن أحبال صوتية رقيقة قائلة:

- أنا ساكنة قريب من هنا.. وبابا وماما أتأخروا عليا وأنا كنت مستنياهم.. وبيتي آخر الطريق ده

ابتسمت مايا في محاوله لبث الطمأنينة بروح الفتاة قبل أن تتحدث قائلة:

- تمام يا حبيبتي ده نفس طريق بيتي

أمسكت بيد تلك الصغيرة وصولًا إلى سيارتها، وبدأت بالقيادة ولا تزال الصغيرة رافعة راية الصمت، حتى عندما حاولت مايا معرفة اسم الفتاة أو عمرها لم تجب وكأنها لا تسمع، آثرت مايا الصمت بعد تلك المحاولة وقد بدأ الخوف في التسلل إلى قلبها لاسيما وهي تراقب نظرات الصغيرة المقلقة.

كانت تقود السيارة وهي شاردة الذهن تفكر في زوجها وابنها لقد اشتاقت لهما حقاً، أفاقت من شرودها على صراخ تلك الفتاة التي تغيرت نبرة صوتها وكأن أحبالها الصوتية أصبحت أغلظ فصرخت قائلة:

: أقفي هنا

أوقفت مايا السيارة ناظرة لتلك الصغيرة بتلك النظرات النارية التي تكاد أن تخترق جسدها، وهي تلهث من أثر الفزع إلى سببته لها الفتاة؛ لتتحدث بنبره يملؤها الفزع:

- فيه أيه بتصرخي ليه كده

نظرت الفتاة من نافذة السيارة وعادت نبرة صوتها الهادئ للحديث لتقول:

- أنا وصلت البيت خلاص

التفتت مايا حولها فوجدت أنها تقف بالسيارة في تقاطع لطريقين، أحدهما يقود إلى منزلها والآخر طريق مهجور، فأعادت بنظرها إلى الفتاة متسائلة بدهشة:

- هنا فين يا بنتي؟!

لم تجبها الفتاة بل فتحت باب السيارة وركضت صُدمت من تصرف تلك الصغيرة وقررت الركض خلفها سريعا ولكن بمجرد هبوطها من سيارتها.. لم تجد تلك الفتاة.. وكأنها تبخرت.. لا بل كأنها لم تكن.

ظلت تنظر حولها شعرت بقبضة تعتصر قلبها، ارتجفت أطرافها فزعاً، ركضت إلى سيارتها وارتادتها لتقود بأقصى سرعتها إلى منزلها.

***

بعد مرور أكثر من نصف ساعة قيادة لبُعد الطريق وصلت مايا وأخيرًا إلى منزلها أوقفت سيارتها في جراج المنزل ثم اتجهت إلى الباب لتفتحه ببطء خوفا من أن توقظ زوجها أو ابنها اتجهت وهي تستند على أطراف أصابع قدميها إلى غرفة المعيشة متسللة كأنها لص ولكنها توقفت فجأة عندما وجدت شبحا لظل شخص طويل تراه من خلال إضاءة القمر التي تطل إلى تلك الغرفة.. اقتربت مايا من زر الإضاءة لتضغط عليه فتبتسم عندما وجدته جالسا أمامها لتتحدث بسعادة قائلة:

- آدم؟! أنت أيه مصحيك لحد دلوقتي يا حبيبي؟

نظر لها بشوق وبابتسامة جذابة تكشف عن أسنانه البيضاء لترتسم هاتان النغزتان على وجنتيه قبل أن يجيبها بصوته العذب:

- مستني مراتي اللي أتأخرت

ابتسمت مايا واقتربت منه واحتضنته بشدة وهي تقول:

- معلش يا آدم أنا بعتذر بس معرفتش أسيب ماما إلا ما تكون كويسة.

ابتسم آدم بحنان وهو يربت على كتفها قائلاً:

- طيب خلاص مش زعلان المهم أنتي اتعشيتي؟!

- اه الحمد لله.

قالت تلك الجملة وهي تتلفت حولها لتسأل آدم:

- هو يوسف فين؟

نظر لها متعجبًا من سؤالها قبل أن يجيبها:

- نايم طبعا عشان مدرسته أنتي ناسية ده بينام من الساعة 7.

. اه صحيح معلش يا حبيبي بس الإرهاق مش مخليني مركزة.. هو واحشني أوي أنا هطلع أشوفه.

ذهب آدم إلى غرفته وتوجهت مايا إلى غرفة يوسف دخلت الغرفة ببطء كي لا توقظه اقتربت من ذلك الصغير لتطبع قبلتها بحنان بالغ علي جبهته. تنظر له وقلبها يتمزق لتسأل نفسها:

. كيف وصل بك الحال إلى هنا يا يوسف؟!

فرت من عينها دمعة هاربة خائنة كانت مقيدة بداخل مقلتيها.. قبل أن تعيد مسائلة ذاتها:

. كيف أصبح صامتا قليل الكلام لم يعد يلهو أو يضحك لا يتكلم إلا نادرا لا تعرف السبب ولكنها حتما ستحاول أن تعيد ابنها كما كان.

قبلته مرة أخرى قبل أن تعود إلى غرفتها لتبدل ملابسها.. اقتربت من آدم لتنام بجواره ابتسمت له مايا متسائلة:

- هي الساعة كام دلوقتي.

نظر آدم إلى الساعة ثم ابتسم واتسعت ابتسامته قائلا:

. 10ونص يا حبيبتي

- تمام اظبطلي المنبه على الساعة 6 متنساش

. حاضر يا مايا.. تصبحي على خير.

***

في صباح يوم جديد على ذلك المنزل استيقظت مايا على صوت المنبه، نهضت من فراشها وبدلت ثيابها بعد أن ألقت نظرة سريعة على زوجها النائم ثم ذهبت لتقوم بتجهيز الفطور لزوجها وابنها قامت بتحضير الطعام ومن ثم نادت بصوت مرتفع عليهما: يووسف.. اااآدم أنتوا لسه نايمين؟

جاءها صوت آدم وهو ينزل من الدرج :

- خلصنا يا حبيبتي جينا أهو.

نزل آدم ويوسف وجلسوا ثلاثتهم ليتناولوا الطعام سويًا وبعد أن أنهوا الطعام قامت مايا بتوصيلهما إلى باب البيت وقامت بتوديعهما، عادت مايا إلى المنزل لتقوم بأعمال النظافة كأي ربة منزل وحينما كانت تقوم بهذا سمعت صوت طرقات على باب المنزل ذهبت لترى من الطارق الآن!

وعندما فتحت الباب كان الضيف هو كارلا أقرب الصديقات لمايا وأيضا الصديقة الوحيدة لها صرخت مايا بسعادة غامرة عند رؤيتها قائلة:-

- كارلا..!! وحشاني أوي.

ابتسمت كارلا وبادلت العناق معها قائلة:

- أنتي كمان وحشاني أووي.

ابتعدت مايا قليلا لتعطي مساحة لكارلا للدخول إلى المنزل، جلستا بغرفة المعيشة ليتحدثا في الشئون النسائية التي لا تنتهي، تجاذبتا أطراف الحديث لأكثر من ساعتين، لم يكن للوقت ثقل يُذكر كعادة الأوقات السعيدة، حتى نظرت كارلا إلى ساعة يدها مصدرة شهقة بسيطة لتقول:

- أنا أتأخرت أوي كد ه الوقت سرقنا.

نظرت لها مايا بتوسل وهي تتساءل:

- أنتي ماشية دلوقتي..؟

- أيوة بس أكيد هجيلك تاني أنا هقدم أجازة شهر وصدقيني هجيلك تاني.

ابتسمت مايا ابتسامة حزينة شعرت بها كارلا لتردف:

- يا مايا والله هجيلك تاني أنا هقدم أجازة شهر وصدقيني هجيلك تاني.

ابتسمت مايا وأخبرت كارلا أنها تفهمت موقفها الآن وأنها حتما ستنتظرها تأتي لها مرة أخرى، أوصلتها إلى باب المنزل ثم عادت مرة أخرى إلى المنزل لتنهي الأعمال التي كانت تقوم بها، ثم جلست علي الأريكة لتشاهد التلفاز حتى طغى عليها الملل الشديد فقررت أن تخرج إلى حديقة المنزل لتسير فيها قليلا.

كانت تفكر بزوجها وابنها كم هما رائعان كانت تبتسم عندما تتذكر بعض الذكريات معهما كم تهيم بهما، كانت تحدث نفسها بصوت مسموع نسبيا قائلة:

- يا رب متحرمنيش منهم هما كل حياتي أنت عارف أن أنا من غيرهم ولا أي حاجة حياتي ملهاش طعم من غيرهم.

قطع حديثها مع نفسها صوت شخص ما يركض بالحديقة، صوت واضح كوضوح الشمس هي حتما لا تتوهم هناك شخص ما معها، سارت بخطوات بطيئة اتجاه الصوت وجسدها يرتجف فكلما تقترب كلما ارتفع ذلك الصوت وأضحى واضحا أكثر وأكثر، سارت حتى خرجت إلى الحديقة لتقع عينها على ما لم تصدقه عيناها،

توقفت مايا فجأة عن الحركة شعرت بانقباضة في قلبها لم تعد تسمع صوت أنفاسها ولا تشعر بدقات قلبها، إنها ذات الفتاة الصغيرة بنفس الملابس.

كان الخوف والصدمة يكللان لسانها، وساد الصمت حوالي الدقيقة قبل أن تتجرأ مايا وتقطع صمتها أخيرا، فسألت وبصوت مرتجف:

. أنتي؟! إزاي دخلتي.. بتعملي أيه هنا؟!

خطت بخطوات يشوبها الحذر مقتربة من تلك الفتاة وبمجرد وصولها إلى مكانها سمعت صوت زوجها ينادي عليها، فالتفتت خلفها لتراه يقترب منها نظرت مرة أخرى إلى تلك الصغيرة ولكنها اختفت مثلما اختفت من قبل وتبخرت للمرة الثانية على التوالي.

ظلت مايا ساكنة لا تتحرك من الصدمة حتى أفاقت على صوت آدم وهو يقف بجانبها ليضع يده على شعرها قائلاً:

- أية يا مايا .. كل ده بنادي عليكي.. بتعملي أيه هنا؟!

حاولت اصطناع الابتسامة قدر الإمكان فتحدثت بوجه مشحوب قائلة:

- أنا.. أنا بشم هوا؟؟ معلش مسمعتكش.

- تمام طيب يلا لأن هموت من الجوع.

- بعد الشر عليك.. هو يوسف فين؟!

- يوسف في أوضته بيغير هدومه أول ماجينا دخل البيت على طول.

دخلا المنزل وذهبت مايا لتقوم بتحضير الطعام وهي شاردة فيما حدث، وبعد أن أنهوا تناول الطعام جلس آدم ويوسف بغرفة المعيشة بينما كانت مايا تتنقل هنا وهناك بين الغُرف لتتأكد من نظافة المنزل

حتى اعترض آدم على تصرفاتها تلك ليخبرها أن المنزل نظيف ولا يحتاج كل هذا المجهود.

خيم الليل على ذلك المنزل أتى الليل بمخاوفه فمايا كانت جالسة تفكر في تلك الفتاة الصغيرة وكيف تظهر وتختفي بذلك الشكل مرعب.

كانوا يجلسون ثلاثتهم أمام التلفاز آدم بجانب مايا ويوسف يجلس على الأرض صامتا أمامهما قبل أن يبدأ آدم الحديث:-

- مايا سرحانة في أيه؟؟

- ها.. ولا حاجة يا حبيبي أنا بس..

وقبل أن تكمل جملتها انقطع نور المنزل لتزفر هي ضيقًا وهي تردف:

- يادي القرف ده وقته

- متقلقيش هقوم أجيب شمعة وكبريت بعدين الساعة لسه10ونص مش نص الليل يعني

هب آدم من مكانه بعد أن قبلها على وجنتها وذهب باحثًا عن بعض من الشموع، وقفت هي الأخرى واتجهت إلى النافذة لتجد أن جميع منازل الحي مضاءة إلا منزلها، فنادت بصوت مرتفع:-

- آدم شوف كبل النور بتاعنا شكله فيه حاجة

لم يرد على ندائها، فنادت على صغيرها قائلة:

- يوسف حبيبي تعالى أقف جمبي علشان الضلمة

لكنها لم تجد منه الرد فالتفتت لتنظر إليه ولكنها لم تجده.. هرولت لتمسك بهاتفها وأضاءته، هبطت الدرج مخترقة لذلك الظلام ولكنها لم تجدهما، خرجت إلى الحديقة بأعين فزعة بدأت الدموع بمعرفة الطريق إليها وما زالت تنادي:

. يوسف.. آدم

اتجهت مايا إلى الجراج وقلبها يزداد خفقانا فكانت الصدمة.. لم تجد سيارة آدم!!

أمسكت بهاتفها وبدأت بالاتصال بزوجها ليأتيها ذلك الصوت الرتيب ليخبرها بانغلاق الهاتف، وصل ذعرها إلى ذروته فأعادت الاتصال مرات ومرات.. دون جدوى، حاولت طمأنة نفسها بأنهما قد ذهبا إلى والدتها.. وظلت تُثبت ذلك الظن بعقلها وتتساءل كيف لآدم أن يخرج من المنزل دون أن يخبرها أمسكت بهاتفها من جديد وأحضرت رقم والدتها.. ليأتيها نفس الرد.. شعرت بأن الأمر يزداد سوءًا وما زالت تنادي عسى أن تكون إحدى مداعبات زوجها السخيفة، وأخيرًا قررت الذهاب فركبت سيارتها تقودها بأقصى سرعة تجاه منزل والدتها تمني النفس بما يرفضه العقل، وصلت إلى منزل والدتها لتجد نور منزلها منقطع هو الآخر.. هبطت من السيارة واقتربت من باب المنزل وظلت تطرق الباب بعنف وبشدة ولكن لم يجبها أحد.

عادت مايا إلى السيارة الرعب ينبض بقلبها، أين ذهبوا جميعا قادت بسرعة جنونية إلى منزلها لعلها تجدهم عادوا وعندما عادت إلى المنزل وجدت أضواء المنزل كلها مضاءة.

ركضت إلى الداخل لتبحث عنهم مرة أخرى ولكن ليس هنالك من جديد فما زال المنزل خاليا إلا منها ظلت تبكي وتنوح وتنادي ولكن بلا جدوى.

نما إلى أذنيها صوت أنفاس لاهثة مصدرها دورة المياه فتوجهت إليها بأعين جحظت بفعل الفزع، وضعت يدها على مكبس الكهرباء لتضيء دورة المياه.. ولكنها أيضًا خاوية.. نظرت إلى المرآة برعب لتعقد حاجبيها ذهولاً، اقتربت أكثر من المرآة علها تكون خيالات لا أساس لها من الصحة.. ولكنها تأكدت من صحة ما رأت.

شيء غريب وغامض يركض، نعم إنه يركض بداخل مقلتيها اقتربت مايا من المرآة وهي تشعر بأنها تختنق خوفا وذعرا مما ترى فتلك الصغيرة بمقلتيها وكأنها تركض بالبرية.

صرخت مايا بشدة راكضة إلى الخارج لتتعثر قدمها بشيء ما وترتطم رأسها بالأرض بقوة لتسقط مغشي عليها.

***

مر وقت حين بدأت مايا بفتح عينيها ببطء فوجدت نفسها نائمة على سريرها ترتدي بيجامة نومها.. ووجدت آدم يضع يده على رأسها فهبت مفزوعة واحتضنته بشدة وظلت تبكي وهي تتحدث:

- أنا كنت خايفة أووي يكون حصلكم حاجة اختفيتوا فين أيه اللي حصل.. أيه اللي بيحصل أنا مش فاهمة حاجة؟!

نظر لها آدم باستغراب قائلا:

- مين اللي راح فين.. وأيه بيحصل؟!

. أنت ويوسف أما النور قطع.. اختفيتوا وملاقتكمش دورت عليكم ورحت عند ماما كمان ملقتهاش ولا لقيتكم وقعدت اتصل بيك موبايلك خارج الخدمة

ضحك آدم بشدة وصلت حد القهقهة وسط ذهول مايا، قبل أن يتمالك أعصابه قائلاً:

- لا بجد كل ده فالدقيقة اللي سيبتك فيها ده حلم طويل أوي

- حلم.. حلم أيه؟!! بقولك أنتوا اختفيتوا

ضم آدم مايا إليه بشدة وهو يهدئ من روعها قائلاً:

- يا روحي أنا جبت الشمع ورجعت لقيتك نايمة على الكنبة رايحة فالنوم شلتك ونيمتك في الأوضة

كانت مصدومة مما تسمع لم تتكلم لم تسأل اكتفت فقط بالصمت ليستكمل هو الحديث قائلاً:

- المهم يلا ننام عشان نصحا بدري الساعة دلوقتي 10ونص

***

نامت مايا وهي تضم آدم بشدة ليمر الليل ويأتي الصباح وكالعادة استيقظت مايا لتجهيز الإفطار لعائلتها الصغيرة وبعد الانتهاء من الفطور المُعتاد توجه آدم ويوسف وودعاها ليغادرا المنزل، بدأت مايا بحملتها الخاصة بتنظيف المنزل والتي لا تنتهي أبدًا ولكنها كانت شاردة الذهن فيما حدث معها أمس هل كان حلمًا مخيفًا حقا كما أخبرها آدم؟

قطع تفكيرها صوت جرس المنزل ذهبت لترى من القادم فتحت الباب لتجد كارلا أمامها تتحدث ببهجة:

- صباح الخير يا هانم

وبعد عدد من القبلات والضمات دخلت كارلا إلى المنزل لتجلس مع صديقتها تتحدثان كعادتهما إلا أن كارلا لاحظت شحوب وجه صديقتها.. فتساءلت بقلق:

- مايا يا حبيبتي أنتي تمام؟

- اه تمام؟!.. ليه؟!

- وشك بهتان كدة كأنك مبتاكليش أو بتسهري

- اه.. لا ده تلاقيه من شغل البيت أنتي عارفة أنا بكره البيت اللي مش نضيف

هزت كارلا رأسها وهي تتصنع تفهمها لأسباب صديقتها، ولكن بالحقيقة كانت مذهولة فكلام مايا لا ينطبق على هيئة المنزل الذي تشعر كما لو أنه لا يقطنه أحد منذ بداية الخليقة.. فالعناكب تتخذ من الأركان

بيوتًا.. وتتناثر الأتربة على جميع قطع الأثاث بالمنزل، ولكنها اكتفت فقط بتلك الابتسامة المجاملة وهي تقول:

- ربنا يقويكي .. لو احتجتي حاجة قوليلي

ظلت الأحاديث تمتد عن ذكريات الطفولة حتى انقضى وقت طويل ومن ثم استأذنت كارلا بالذهاب على وعد بلقاء قريب.

خرجت كارلا من المنزل بعد أن قامت مايا بتوديعها واتجهت لسيارتها وعندما بدأت في الانطلاق بالسيارة توقفت فجأة عندما نادى عليها أحدهم لتتوقف وهي تنظر للماثل أمامها باستغراب

***

في المنزل كانت مايا شاردة في كل ما يحدث لها.. قطع تفكيرها وحديثها مع ذاتها صوت تهشم في الحديقة.

هبت مفزوعة تركض تجاه الصوت توقفت مايا.. وكاد نبض قلبها أن يتوقف عندما رأتها مرة أخرى.

تلك الفتاة واقفة في نفس المكان تكسر بعض الأطباق والأكواب القديمة التي تراها لأول مرة بمنزلها، نظرت مايا لها وكادت تنطق ولكن لُجم لسانها فلم تستطع أن تتحدث نظرت تلك الفتاة لمايا وهي صامتة جامدة لا تتحرك.

حاولت مايا التحدث ولكن الصراع كان بين جسدها الذي لا يستجيب وعقلها الذي يعطي الإشارة ولا يستمع له.

صراع دام لأقل من الدقيقة ليعلن العقل عن انتصاره وتتحدث أخيرا وهي خائفة صارخة:

- أنتي.. أنتي تاني؟ أنتي مين وعايزة أيه ردي عليا..

لم تجيبها الفتاة بل ظلت صامتة.. اقتربت منها مايا وعند اقترابها شعرت بالدوار فسقطت أرضا مغشي عليها.

فتحت عينيها ببطء لتجد ذلك الظلام الدامس الذي يحيط بها قامت مستندة إلى الأرض لتجد نفسها بحديقة المنزل وبالطبع اختفت الفتاة واختفت حتى الأطباق، تأملت الأجواء، لقد أتي الليل، ولكن لحظة؟؟!.. أين زوجها؟!.. لماذا لم ولمَ النور منقطع عن المنزل مرة أخرى؟!

ركضت سريعا إلى الداخل تبحث عن زوجها وابنها ولكنها وجدت المنزل خاويا، الم يأتوا بعد أين هم؟!.. أمسكت مايا هاتفها لتتصل بآدم ولكن الهاتف مغلق أيضاً، نظرت إلى الساعة فوجدتها الـ10والنصف كيف لم يأتوا بعد..؟؟ اتصلت به مرارا وتكرارا ولكن دون جدوى، خرجت مهرولة من منزلها متخذة قرار اللجوء إلى الشرطة، ارتادت سيارتها لتقودها بأقصى سرعتها متجهة إلى ذلك التقاطع الذي يؤدي بها إلى للمدينة، ولكنها ضغطت مكابح الفرامل فجأة عندما وجدت تلك الصغيرة أمامها مرة أخرى.. توقفت مايا لتنظر لها متوعدة فحتما هي السبب، نزلت من السيارة لتقترب من تلك الفتاة الصغيرة التي ركضت بمجرد أن اقتربت مايا منها، ركضت مايا خلفها وهي تسب وتلعن وتتوعد، وفجأة وقفت الطفلة أمام أحد المنازل غريبة الشكل والتي لم تره "مايا" من قبل رغم مرورها بنفس الطريق.. واختفت الطفلة داخل جدران ذلك المنزل.

توقفت مايا لاهثة تنظر إلى ذلك المنزل منذ متى وذلك المنزل هنا؟! هي تعلم أن هذا الطريق مهجورا لا يوجد به سوى بعض الأشجار والمزارع الخاصة ليس به أي مبان!

اقتربت من المنزل والتفت حوله لتنظر من نافذة ذات زجاج محطم، لتجد تلك الصغيرة جالسة على طاولة طعام تأكل وهي تبكي ممسكة بصورة تضمها إلى صدرها وتتكلم مع تلك الصورة بصوت غير مسموع دخل عليها رجل أربعيني وعندما رأته اشتدت يدها على الصورة وكأنها تتشبث بها، اقترب منها أكثر فأكثر ثم ضمها إليه بشدة لتدفعه هي صارخة به بأن يبتعد عنها.

ركضت تلك الصغيرة إلى الاتجاه الآخر من المنزل وخلفها ذلك الأربعيني، كانت مايا تشاهد كل تلك الأحداث من خلف الزجاج خارج المنزل ولكنها وجدت نفسها في أقل من اللحظة تقف بداخل المنزل وكأنها مُسيرة، وقفت أمام تلك الطاولة، لم تعد خائفة لم ترتعد فهي تريد أن ينتهي كل شيء مالت بجسدها إلى الأرض عندما وجدت تلك الصورة التي كانت تضمها الصغيرة ملقاة بجانب الطاولة، أمسكتها بكلتا يديها.. وبدأت بالنظر إليها قبل أن تصرخ فزعا:

. أيه.. أيه ده .. دي صورة ماما؟!

قطع صدمتها صوت ذلك التحطم ركضت اتجاهه بعيون مليئة بالدموع لترى ذلك المشهد مرة أخرى تلك الصغيرة تحطم بعض الأكواب والأطباق وأمامها ذلك الرجل يصرخ بأعلى صوته اعتراضا على ما تفعل قائلاً:

. اهدي مينفعش كده إحنا لازم نحكي ونتناقش

لترد الطفلة عليه وما زالت تحطم الأكواب والأطباق وهي تصرخ:

. أنت السبب أن هي تموت لولا أنك طردتها مكنتش ماما عملت حادثة

أمسك الوالد بذراع الطفلة وهو يصرخ قائلاً:

- افهمي مامتك هي اللي قررت تمشي مش أنا اللي طردتها.. صدقيني يا مايا

سمعت مايا تلك الكلمات لتتسع حدقتا عينيها بصدمة بعد سماعها لاسم الصغيرة المماثل لاسمها.. وبدأت بالتساؤل.. هل أنا..؟؟.. هل والدتي.. ماتت!

نظرت مايا لتلك النسخة المصغرة منها لتتفاجأ بأنهما أصبحتا خارج المنزل سويا، نظرت إلى المنزل لتجده يحترق بالكامل.. وداخله والد مايا الصغيرة.. التي ابتسمت ابتسامة انتصار وهي تقول:

- هتوحشني أوي يا بابا

نظرت الفتاة إلى مايا وأشارت لها على ذراعها الأيسر لتنظر مايا إلى ذراع الطفلة لتجده يحترق دون أن تظهر أي ملامح للألم.. وقبل أي رد فعل منها أشارت الطفلة إلى ذراع مايا الأيسر.. نظرت له مايا لتجده يحترق دون أي ألم هو الآخر، لتصرخ مايا الكبرى بالصغرى وهي على حافة الانهيار قائلة:

- أنا مقتلتوش مقتلتوش.. الشمعة وقعت مني في أوضته غصب عني وخفت.. خفت لما لقيت النار بتاكل كل اللي في البيت، أنا مقتلتوش.. أنتي كدابة.. كداااابة.

ظلت تصرخ بشدة وتركض حتى سقطت مغشي عليها.

***

شكلها مرهق جدا إحنا عملنالها تحاليل شاملة وظهر فيها أنها عندها فقر دم وأنيميا شديدة جدا غير أن هي متعرضة لانهيار عصبي حاد.

نظرت له كارلا بعيون تكاد أن تصرخ من الحزن، قبل أن توجه حديثها للطبيب قائلة:

- شكرا يا دكتور.. بس ممكن أعرف هي هتفوق إمتى؟؟

- يعني ممكن فخلال 10 دقايق

- شكرا لحضرتك مرة تانية

فتحت عيناها بتعب وإرهاق واضحين كاد رأسها أن ينفجر من الألم نظرت حولها فوجدت أنها محاطة بالأبيض من كل مكان حتما هي ليست فالبيت نظرت أكثر حولها فوجدت الممرضات والطبيب وكارلا أيضا كادت أن تتحدث ولكنها تذكرت ما حدث لتنظر إلى يديها فوجدت أن زراعها

الأيسر به حرق قد ضُمر كأنة منذ سنوات. صرخت مايا بكل قوة وبدأت أطرافها بالتشنج، فاقتربت منها كارلا بعيون باكية صارخة:

- مايا اهدي اهدي

- أنا مقتلتوش دي حادثة صدقوني حادثة

اقترب منها الطبيب موجها كلامه لمساعدته:

- هاتيلي حقنة المهدئ بسرعة

تناول الطبيب الحقنة وقام بإعطائها لمايا التي كانت ترفض الانصياع بكل الطرق حتى بدأ المهدأ بالجريان بعروقها وأغمضت عينيها باستسلام شديد.

نظر الطبيب إلى كارلا موجها كلامه لها: ممكن أعرف هي كده من إمتى؟

- هي كده بقالها سنة ونص.

- سنة ونص؟! طيب أيه موضوع الساعة عشرة ونص ده؟ طول ما هي نايمة بتقول الساعة لسه مجتش 10 ونص؟!

نظرت كارلا إلى الطبيب بأسى.. قبل أن تقول:

- ده الوقت اللي مات فيه زوجها وابنها من سنة ونص لأن مبقتش كده غير من بعد وفاتهم كنت فاكرة أن دي مرحلة وهتعدي بس للأسف ظني مش فمحله.. عرفت اللي حصل لما كنت عندها فمرة واحدة جارتها وقفتني وسألتني على علاقتي بمايا وأما عرفت أن مالهاش غيري حكتلي على كل تصرفاتها الغريبة لما لقتني مصدقتش اخدتني علشأن اشوف مايا بتعمل ايه من بعيد واتصدمت لما لقيتها بتشد كوبس الكهرباء وبتفصل النور عن البيت. بس آخر حاجة ممكن اتخيلها أنها ترجع بيت والدها تاني وكمان أنها كانت قاعدة كام يوم هناك ده مهجور من اكتر من 20سنة.

هل جربت إحساس الخلود؟.. الكل يستخف بذلك وأنت وحدك تعلم أنك (حيٌ على قيد الوفاة)

هذا ليس بخطأ إملائي، نعم هو الخلود بعينه، والفاعل صدمة.. هي تلك الصدمة التي عرضنا إليها أحدهم.. فقد كُتب على إحدى جدران مستشفى نفسي تلك العبارة (كنا بخير لولا أحدهم)..

استهان الكُل بتلك العبارة، قبل أن يجبرهم الواقع على الإيمان بها، لم يفرق أحدهم بين مريضٍ وطبيب، فالكل سواسية وضحايا للصدمات.. تلك الصدمات التي جعلت موهوم يقطف (وردة) ليست له، فاختلط الحابل بالنابل لتصبح الرؤية ضلالية.. وفي ظل كل تلك الغيوم.. صرنا جميعًا كمرضى (كلبتومانيا) نسرق من الدنيا ما نخشاه، فنكسر آخر مصابيح الغرفة المظلمة ونعلق الفأس على كتف من لا حول له ولا قوة.